بسم الله الرحمن الرحيم

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

١٤١٩هـ - ١٩٩٨م

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٦٣٦٦ - تلفون: ٧٠١٩٧٤

فمنهم المستَحق للعقوبة، ومنهم المغفور لهم، ومنم المأجور أجراً واحداً، بحَسَب نيَّاتهم ومقاصدهم واجتهادِهم في طاعة الله تعالى ورسولِه أو تفريطهم.

وبالجملة فمَن اتَّبع رسولَ الله ﷺ في قوله أو فعله فهو على صراط الله المستقيم، وهو ممَّن يُحبُّه اللهَ ويغفر له ذنوبَه، ومَن خالفه في قوله أو فعله فهو مبتدعٌ، متَّبعٌ لسبيلِ الشيطان، غير داخل فيمن وَعَد الله بالمحبَّة والمغفرة والإحسان.

انظر: «إصلاح المساجد» للقاسمي (ص٩، ١٠).

❐ ❐ ❐

يفوتني ذكرها وإعلام القارئين لها بها، فهي على صغرها قد وُفِّق كاتبُها إلى وضوح عبارتها، وسهولة تراكيبها، وانتقاء نقولاتها، وحسن عزوها إلى قائليها ومصادرها، ونسْجها بترتيب لطيف وتنسيق جيد، هذا: إلى الاكتفاء بالقليل من الأقوال والآثار الحسان، التي أغنت عن الكثير منها، دلَّ على أنَّ كاتبَها واعبٌ ما يريد من جمعها وإخراجها للناس.

وقد وُفِّق الكاتبُ إلى التعريف بالسلفية وما ينشأ من مسائل تدور في فلكها، وهذا أمر حسن أن يعرفه القراء من غير تكلُّف ولا حرج، وكان حسناً منه أن لو خرج على الناس بمعنى جديد لمصطلح: «السنة والجماعة» يختلف عن المعنى الذي ظل يجري مع الأجيال والقرون، من غير أن يَفْطُنَ العلماء وطلاب العلم، إلى صيرورته إلى دائرة واسعة، يكاد يدور فيها الصالحون والكالحون معاً.

وهو نوع قصور يجب أن يُتدارك قبل أن يستقر في الناس فلا ينال منه بنقدٍ أو تصويب، إلا وينبري من

السُّنة والجماعة -وللأسف- عليها.

وكان حسناً من الكاتب أنْ رَتَق بين أهل الحديث وبين من ينتسب إلى منهج السلف، وأن كلاً منهما لا ينفك عن الآخر في معناه ومبناه، وإن كان اختلاف ظاهر في الحروف.

وأرجو أن يُوفَّقَ الابن نادر إلى أمريْن اثنيْن في حياته العلمية:

الأول: أن يُقل من التأليف، فإنَّ الإكثار منه مفسدة للناشئ، ومورد خطأ للشادي، وشدو عُجْب وغرور للذي يليه، وانصراف إلى التكسُّب به لمن بعده.

أما الثاني: أنْ يكثر من القراءة والنظر في كتب السابقين الأوَّلين، فقد خلَّفوا لنا تراثاً عظيماً يعز على سائر الأمم ويكفينا في غير كفاف ولا تسوُّل، لكن طلاب العلم أضاعوه بقيل وقال، والتعصب لدعامصة الشيوخ، والاشتغال بالرسائل المنهوبة المرتجلة، المتكسَّب بها.

فأشاعت الفرقةُ الوَهَن في صفوفنا، وفَتحت للأعداء أبوابنا، حتى أصبحت مرتعاً للذئاب المتكالبة من خارج ديارِنا، وظهر المبتدِعون، وتنطّع المتنطِّعون من أبناء أمَّتنا.

ولكنّه شاء ربُّنا برحمته، وفضله، ومنّته من إقامة «مَن يكون ببَيان سُنن المرسلين كفيلاً، واختصَّ هذه الأمة بأنّه لا تزال فيها طائفة على الحقِّ لا يضرّهم مَن خذلهم ولا مَن خالفهم حتى يأتيَ أمرُه[1] ولو اجتَمَع الثقلان على حَرْبهم قبيلاً؛ يدْعون مَن ضلَّ إلى الهُدى، ويَصبرون منهم على الأذى، ويُبصِّرون بنور الله أهل العمى، ويُحيونَ بكتابه الموتى، **فهُم أحسن الناس هدْياً وأقومُهم قيلاً**.

فكم من قتيل لإبليسَ قد أحيَوْه، ومن ضالٍّ جاهل لا يعلمُ طريقَ رشده قد هَدَوْه، ومن مبتدِع في دين الله بشُهُب الحقِّ قد رَمَوْه! **جهاداً في الله**، وابتغاءَ مرضاته؛ وبياناً لحُجَجه على العالَمين وبيِّناته، وطَلَباً للزُّلفى لديه

(١) إشارة إلى أحاديث الطائفة المنصورة، وهي ثابتة متواترة.

تعالى ورعاه، على ما تكرّم به وتفضّل من مراجعة الرسالة والتقديم لها؛ فجزاه الله خيراً.

سائلاً ربِّيَ «الذي سهّل لعباده المتّقين إلى مرضاته سبيلاً، وأوْضَح لَهُم طريقَ الهداية، وجَعَل اتِّباع الرسول عليها دليلاً»[1]، أنْ يسلكَنا بالَمرقاة سبيل النَّجاة، وأنْ يجعلَها شفاءً وهُدى لكاتبها، وقارئها، وناشرها، ووالديهم إلى يوم الدِّين، وصلّى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وكتب

أبو الحارث التعمري

نادر بن سعيد بن أسعد

أسعَدَهُ الله ووالديْه وآله والمسلمين

في الداريْن، آمين!

عمَّان

أردن الشام المحروس

يوم الاثنين ٢٥ صفر ١٤١٨هـ

الموافق٣٠/ ٦/ ١٩٩٧م

❐ ❐ ❐

(١) اقتباس من «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٠٣).

ثلاثة، **والرابع ما جاء عن الصَّحابة أو الخلفاء**»[1].

*** الجماعة:**

(٢) قال النبي ﷺ حينما أخْبر عن افتراق الأمة إلى ثلاث وسبعين فرقة كلّها في النار إلا واحدة، فسُئل: مَن هي؟ فقال ﷺ: «الجماعة»[2].

(٣) قال ابن مسعود رضي الله عنه: «الجماعة: ما وافق طاعةَ الله وإنْ كنتَ وحدك»[3].

(٤) وقال إسحاق بن راهويه: «الجماعة: عالمٌ متمسِّكٌ بأثرِ النبي ﷺ وطريقِه، فمَن كان معه وتبعه؛ فهو الجماعة»[4].

---

(١) «الموافقات» (٤/ ٢٩٣).

(٢) حديث صحّحه المحدّث الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه» (رقم٣٢٤١)، و «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ١٤٩٢).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» للالكائي (رقم١٦٠).

(٤) «حلية الأولياء» لأبي نعيم (٩/ ٢٣٩)، و«الاعتصام» للشاطبي (٢/ ٧٧٧).

*** أهل السنة والجماعة:**

سُمّوا (أهل السُّنة) لأنَّهم متمسِّكون بها ظاهراً وباطناً، قولاً وعملاً، اعتقاداً وفَهْماً؛ وسُمّوا (أهل الجماعة) لأنهم مجتمعون على السُّنة ملازِمون لها؛ فالأصل أنْ لا يدخلَ فيهم مَن خالَفهم مِن خوارج، وجهمية، وأشعرية، وهرريَّة، وصوفية، و...؛ فكيف يكون الجميع (أهل سنة وجماعة) وهم مختلفون في المعتقَد والنَّهج، والقول والعمل؟! والله المستعان!

❐ ❐ ❐

رُمِيَ ببدعة أو شهر بلقب غير مرضي مثل الخوارج، والروافض، والجهمية، والأشعرية، والصوفية...

*** إمام السَّلَف:**

وأمَّا إمام السَّلَف: فهو النبي ﷺ لقوله في مرض موته لابنته فاطمة -رضي الله عنها-: «فاتقي الله واصبري، فإنه نِعْم السَّلَف أنا لك»[1].

*** ما يُطلق على متَّبع السَّلَف:**

١- قال الإمام السّمعاني (ت٥٦٢هـ):

«و**السَّلَفي** -بفتح السين واللام وفي آخرها الفاء-: هذه النسبة إلى السَّلَف، وانتحال مذهبهم على ما سُمعت»[2].

٢- قال الإمام أبو إسحاق الجعبري الخليلي (ت٧٣٢هـ) حين سُئل عن نسبة (السَّلَفي)- والتي كان

---

(١) سيأتي تخريجه (ص٣٢).

(٢) «الأنساب» (٧/ ١٠٤).

ذلك منه بالاتفاق، فإنَّ مذهب السَّلَف لا يكون إلا حقّاً، فإنْ كان موافقاً له باطناً وظاهراً: فهو بمنزلة المؤمن الذي هو على الحق باطناً وظاهراً.

وإن كان موافقاً له في الظاهر دون الباطن: فهو بمنزلة المنافق، فتُقبل منه علانيته وتُوكَل سريرتُه إلى الله، فإنا لم نُؤمر أن نُنقِّب عن قلوب الناس ولا نشق بطونَهم»[1].

بل «**إنّ شعار أهل البدع: هو ترك انتحال اتباع السَّلَف**»[2].

❐ ❐ ❐

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٤٩).

(٢) «المصدر السابق» (٤/ ١٥٥).

الرجوع، فما حكَموا به فهو المقبولُ المسموعُ»[1].

*** مَن هم أهل الحديث؟**

أهل الحديث: هم مَن توَخَّوْا ونهجوا نهج النبي ﷺ والصحابة والتابعين لهم بإحسان عقيدةً، وشريعةً، واتباعاً، وسبيلاً، وسلوكاً، ومَسْلكاً، ومقصداً، وقولاً، وعملاً، وظاهراً، وباطناً ـ كل ذلك بين مستقل ومستكثر ـ وعلى رأسهم العلماء، فطلبة العلم، ثم العامة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-:

«ونحن لا نعني بأهل الحديث: المقتصرين على سماعه، أو كتابته، أو روايته، بل نعني بهم: كل مَن كان أحق بحفظه ومعرفته وفَهْمه ظاهراً وباطناً، واتباعه باطناً وظاهراً، وكذلك أهل القرآن.

وأدنى خَصلة في هؤلاء: محبةُ القرآن والحديث،

(١) «شرف أصحاب الحديث» للبغدادي (ص٨،٩)، وما بين معقوفتين زيادة مني.

عن شيء من المسائل المولَّدات التي لا تقع يقولُ: دعونا من هذه المسائل المحدَثة.

وما أحسن ما قاله يونس بن سليمان السَّقَطيُّ: نظرتُ في الأمر، فإذا هو الحديث والرأي، فوجدتُ في الحديث ذكرَ الرب عزَّ وجلَّ وربوبيتَه وإجلاله وعظمته، وذكرَ العرش وصفة الجنة والنار، وذكرَ النبيين والمرسلين، والحلال والحرام، والحثَّ على صلة الأرحام، وجماع الخير فيه، ونظرت في الرأي، فإذا فيه المكرُ والغدرُ، والحيلُ، وقطيعة الأرحام، وجماع الشَّرِّ فيه[1].

وقال أحمد بن شبويه: من أراد علمَ القبرِ فعليه بالآثار، ومن أراد علم الخُبْزِ فعليه بالرأي.

ومن سلك طريقه لطلب العلم على ما ذكرناه، تمكَّن من فَهْمِ جواب الحوادث الواقعة غالباً؛ لأن أصولها تُوجد في تلك الأصول المشار إليها، ولا بدَّ أن

(١) ومثله قل في الكتب (الفكرية) و (الحركية)!!

بأخذهما، فهُم متردِّدون في انتسابهم إلى الحديث بين ما ذَكَر الله سبحانه وتعالى في كتابه فقال تعالى ذكره: ﴿**الله نزَّل أحسن الحديث**﴾ [الزمر: ٢٣] فهو القرآن؛ فهُم حملة القرآن وأهله، وقرّاؤه وحفظته، وبين أن ينتموا إلى حديث رسول الله ﷺ فهُم نقلته وحملته، فلا شك أنهم يستحقُّون هذا الاسم لوجود المعنيَيْن فيهم لمشاهدتنا أنّ اقتباس الناس الكتاب والسنة منهم، واعتماد البرية في تصحيحهما عليهم؛ لأنّا ما سمعنا عن القرون التي قبلنا ولا رأينا نحن في زماننا مبتدعاً رأساً في إقراء القرآن، وأخَذَ الناسُ عنه في زَمَن من الأزمان، ولا ارتفعت لأحد منهم رايةٌ، في رواية حديث رسول الله ﷺ فيما خلَت من الأيام، ولا اقتدى بهم أحدٌ في دينٍ ولا شريعةٍ من شرائع الإسلام، والحمد لله الذي كمَّل لهذه الطائفة سهام الإسلام، وشرّفهم بجوامع هذه الأقسام، وميَّزهم من جميع الأنام، حيث أعزَّهم الله بدينه ورَفَعهم بكتابه، وأعلى ذِكْرهم بسُنَّته، وهداهم إلى طريقته وطريقة رسوله؛ **فهي الطائفة المنصورة، والفرقة الناجية،** والعصبة

والاها، ومعاداة لمن عاداها، الذين يَروُون[1] المقالات المجمَلة إلى ما جاء به من الكتاب والحكمة؛ فلا ينصبون مقالة ويجعلونها من أصول دينهم، وجُمَل كلامهم إن لم تكن ثابتة فيما جاء به الرسول، بل **يجعلون ما بَعَث به الرسول من الكتاب والحكمة، هو الأصل الذي يعتقدونه ويعتمدونه**»[2].

❐ ❐ ❐

(١) كذا بالمطبوع ولعلّ الصواب: «يردُّون».

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٤٧).

وأصحابي»[1].

فالصراط المستقيم هو «صراط الأنبياء قبل هذه الأمة، وصراط الصدِّيقين والشهداء والصالحين منها أيضاً، كما قال تعالى: ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النَّبيِّين والصِّديقين والشهداء وحسُن أولئك رفيقاً**﴾[النساء: ٦٩].

فأولئك هم أهل النعمة والفضل، وصراطهم بمعزل عن أسباب الغضب وموجبات الضلال، إذ هو تام الاستقامة لا عوج فيه ولا انحراف.

وسلوك الصراط المستقيم فريضة واجبة على كل مسلم، قال تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون**﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وإنّما يكون سلوك هذا الصراط باتباعه السابقين عليه في التحليل والتحريم والإيجاب، فيتبع الرسول

(١) من شريط مسجّل برقم (٦٠٨) للعلامة الألباني.

آمنوا على هذه الصفة التزاماً بمثليَّة سبيل الصحابة فقد وُفِّقوا ورَشدوا واهتدوا بلزوم طريق الحق، وإنْ أعرضوا عن منهج الصحابة وفهْمِهم فإنما هم في شقاق وحرب وفراق وعصيان لله ورسوله، والله سميعٌ لما ادّعوا من سَلَفيّة المعتقَد والمنهج، عليمٌ بحقيقة أمرِهم؛ والله تعالى أعلم.

* * *

٣- قال تعالى: ﴿ **ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتّبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى ونصله جهنم وساءت مصيراً**﴾[النساء: ١١٥].

قال الإمام ابن أبي جمرة الأندلسي: « وقد قال العلماء في معنى قوله تعالى: ﴿ . . . **ويتبع غير سبيل المؤمنين نولّه ما تولّى** ﴾ :

إن المراد بذلك الصحابة والصدر الأول؛ لأنهم هم الذين تلقَّوا مواجهة الخطاب بذواتهم السَّنيَّة، وشَفَوْا بحسن السؤال عما وقع في النفوس من بعض

وعليه؛ فكلُّ مَن اتبع غير سبيل المؤمنين -نهج الصحابة الأكرمين والسلف الصالحين -فقد شاقَّ الله ورسوله الأمين، والله تعالى يقول: ﴿ **ذلك بأنهم شاقّوا الله ورسوله ومَن يُشاق الله فإنَّ الله شديد العقاب** ﴾ [الحشر: ٤].

وكفى -والله- بهذا وعيداً وزجراً للمنحرفين عن منهج السَّلَف الصالح، رافضاً نسبته إليهم بمعتقده، ومنهجه، وقولِه، وعملِه، وسمْتِه، ودلِّه، واللهَ المستعان!

❐ ❐ ❐

اتباع سنتهم، وأن المحدثات خلاف ذلك، ليس منها في شيء ؛ لأنهم -رضي الله عنهم -فيما سنّوه: إما متبعون لسنة نبيِّهم عليه السلام نفسها، وإما متبعون لما فَهموا من سنته ﷺ في الجملة والتفصيل على وجهٍ يخفى على غيرهم مثلُه، لا زائد على ذلك»[1] اهـ.

قلتُ: ثم إنَّ مما يؤكِّد وشيجة الاقتران بين سنَّته ﷺ وسنة أصحابه، أنه عليه الصلاة والسلام قال: «تمسَّكوا **بها** وعضوا **عليها** بالنواجذ...».

فجعلها بمثابة سنة واحدة، فلم يقل: تمسَّكوا بهما، وعضوا عليهما؛ فتأمل!!

ثم وقفتُ على أثرٍ سَلَفي جيد، رواه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ١١٧٦ رقم ٢٣٢٧) بسند صحيح؛ قال صالح بن كيسان (ت بعد ١٣٠هـ): «اجتمعتُ أنا والزهري ونحن نطلب العلم، فقال: نكتبُ السننَ بكتبنا ما جاء عن النبي ﷺ، ثم نكتب ما

(١) «الاعتصام» (١/ ١١٨).

قلتُ: إنَّ من شأن الإنسان أن تكون أعظم وصية يُوصي بها هي عند موته، وكلما كان هذا الإنسانُ عظيماً، وكان الموصى له رفيعاً كانت وصيتُه عظيمةٌ جليلةٌ كريمةٌ رفيعةٌ؛ فقيمة الوصية تنبثق من قيمة هذه العوامل التي ذكرتُ.

فإذا كان الحال كذلك، فكيف بك إذا علمت أن الموصي هو سيّد الإنسانية، وإمام البشرية محمد ﷺ؟ وكيف بك! إذا كان الموصى له هي سيدتنا، وسيدة من سيدات نساء أهل الجنة[1] ، وابنة سيدالمرسلين: فاطمة رضي الله عنها؟ وكيف بك إذا كان ذلك في مرض وفاته ﷺ؟!.

أقولُ: بهذا لعلَّك وطَّنت نفسك لتصور بل تصوّرتَ قيمة وأهمية وعظمة هذه الوصية الجليلة، ولكن ما هي؟

---

(١) كما قال ﷺ: «سيّدات نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران: فاطمة، وخديجة، وآسية امرأة فرعون». صحيح، انظر: «سلسلة الأحاديث الصحيحة» للألباني (رقم ١٤٢٤).

أقول: وبهذه الوصية الكريمة يظهر -إن شاء الله- وجه قبضه سبحانه لنبي الأمة- التي أراد بها خيراً- في قوله ﷺ:

«إن الله عز وجل إذا أراد رحمة أمة من عباده قَبَض نبيّها قبلها، فجعله لها فرطاً وسَلَفاً بين يديْها، وإذا أراد هلكة أمة عذَّبها ونبيّها حيّ، فأهلكها وهو ينظر، فأقرَّ عينه بهلكتها حين كذّبوه وعَصَوا أمره»[1].

* * *

٣ـ قال ﷺ: «إن بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين ملة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين ملة [وفي رواية: فرقة] كلها في النار إلا واحدة»، فقيل: يا رسول الله، وما الواحدة؟ فقال: «ما أنا عليه اليوم وأصحابي»[2].

---

(١) رواه مسلم (رقم ٢٢٨٨) بصيغة الجهالة، انظر: «تغليق التعليق على صحيح مسلم» لشيخنا علي الحلبي (ص ٥٤ـ ٥٨).

(٢) حديث حسن، انظر: «درء الارتياب عن حديث ما أنا عليه اليوم والأصحاب» لشيخنا سليم الهلالي (ص١٣)، و «نُصح الأُمة في =

شيء مما أردْنا، إذ الوعيد بالنار قد يتعلَّق بعصاة المؤمنين، كما يتعلَّق بالكفار على الجملة، وإنْ تَبايَنا في التخليد وعدمه».

ثالثاً: إن الوعيد بالنار لا يستلزم تكفيرهم في الدنيا، «**والدليل عليه عمل السَّلَف الصالح فيهم**»[1]:

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «ومَن قال: إنَّ الثنتين والسبعين فرقة كل واحد منهم يَكْفُر كفراً ينقل عن الملة، فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة، فليس فيهم مَن كفَّر كلَّ واحد من الثنتين وسبعين فرقة، وإنما يكفِّر بعضُهم بعضاً ببعض المقالات»[2].

رابعاً: في حقيقة هذا الافتراق: والمراد هنا «افتراق مقيَّد، وإن لم يكن في الحديث نصٌّ عليه، ففي

---

(١) «الاعتصام» (٢/ ٦٩٤).

(٢) «الإيمان» (ص٢٠٦).

به الأخرى؛ فلا بدَّ من التفرق، وهو معنى قوله تعالى: ﴿**وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرّق بكم عن سبيله**﴾»[1].

سادساً: ثم نلحظ أنَّ شيع الباطل والابتداع كثرة من حيث الجنس مما يُشعر بتعدُّد مصادر تلقِّيهم واضطرابها، في حين أنَّ أهل النجاة قلة ﴿ **وقليل من عبادي الشكور**﴾[سبأ: ١٣] مع وحدة مصدرهم -كتاب ربِّهم، وسُنة نبيِّهم ﷺ، وفَهْم سَلَفِهم مِنَ الصحابة وتابعيهم بإحسان-.

سابعاً: «دلّ قيد (اليوم) أن المعتبر من شرائع الدين ما كان في زمن النبي ﷺ؛ لأن بعده -عليه السلام- اختلف الصحابة أيضاً في مواضع ومسائل، فالتي تستحق للأخذ، والتمسك به، هي السنة الصريحة الصحيحة، الصِّرفة المحضة، التي لا يشوبها اجتهاد، ولا رأي، ولا قياس، ولا شيء!!

(١) «الاعتصام» (٢/ ٧٠١)، وانظر ما سبق ذكره حول الآية (ص٣٣- ٣٥).

وهذه هي الطائفة الناجية على الحقيقة كما شَهِد به المسلمون الصادقون»[1] اهـ.

ثامناً: «هذا الحديث علَمٌ من أعلام النبوة، مشتمل على خبرين:

الأول: افتراق الأمة على ثلاث وسبعين فرقة.

وهذا لا ريب فيه أنه وقَعَ كما أخبر.

والثاني: بقاء ملة واحدة.

ولا شك أنها ناجية، وبقاؤها من يوم النبوة إلى قيام الساعة، ولا يُمكن أن يكون هذا الخبر الثاني عبثاً، بل لا بد أن يقع هو كالخبر الأول مثل فَلَق الصبح.

وإذا صحَّ أن الجزء الثاني لا يتخلَّف ـ لوقوعه ممن لا ينطق عن الهوى ـ فوجب علينا أن نبحث عنه!

وإذا نظرتَ بعين بصيرتك نظرةَ إنصاف في الحديث

---

(١) «تاريخ أهل الحديث» بتحقيق شيخنا علي الحلبي (ص ١٣٣).

مِن أقوال الأئمَّة على اتِّباع سَلَف الأمَّة

١- قال **ابنُ مسعود** -رضي الله عنه-: «مَن كان متأسياً فليتأس بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرَّ هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً، قوماً اختارهم الله تعالى لصحبة نبيّه ﷺ، فاعرفوا لهم فضلهم **واتبعوهم في آثارهم**؛ فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم»[1].

قال الإمام ابن تيمية: «وقول عبد الله بن مسعود: «كانوا أبر هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً: كلامٌ جامع بيَّن فيه حُسْنَ قصْدهم ونياتهم ببرِّ القلوب، وبيَّن فيه كمالَ المعرفة ودقَّتها بعمق العلم، وبيَّن فيه تيسير ذلك عليهم، وامتناعهم من القول بلا

(١) «جامع بيان العلم وفضله» لابن عبد البر (رقم ١٨١٠).

وقال ﷺ: « رضيتُ لأمتي ما رَضِيَ لها ابن أم عبد»[1].

* * *

٢- قال **عمر بن عبد العزيز**(ت١٠١ هـ): «سنَّ رسول الله ﷺ وولاة الأمر بعده [أي: أصحابه أولي العلم] سناً أخذنا بها تصديقاً بكتاب الله عز وجل، واستكمالاً لطاعة الله تعالى، وقوة على دين الله سبحانه، مَن عمل بها مهتد، ومَن استنصر بها منصور، ومَن خالفها اتبع غير سبيل المؤمنين، وولاّه اللهُ ما تولّى، وصلاّه جهنّم وساءت مصيراً»[2].

٣- قال الإمام **أبو حنيفة النعمان** (ت١٥٠هـ): «عليك بالأثر وطريقة السلف، وإياك وكل محدثة،

---

(١) صحيح: أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٣١٧- ٣١٨).
انظر «السلسلة الصحيحة» (١٢٢٥).

(٢) «الموافقات» للشاطبي تحقيق شيخنا مشهور آل سلمان (٤/ ٤٦٠).

رسول الله ﷺ، والاقتداء بهم، وترْك البدع، وكل بدعة فهي ضلالة»[1].

* * *

٧- قال **أبو محمد الحسن البربهاري** (ت٣٢٩هـ): «والحق: ما جاء من عند الله عز وجل، والسنة: سنة رسول الله ﷺ، والجماعة: ما اجتمع عليه أصحاب رسول الله ﷺ في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان.

ومن اقتصر على سنة رسول الله ﷺ وما كان عليه أصحابه والجماعة، فَلَج [أي: ظفر وفاز] على أهل البدعة كلِّهم واستراح بدنُه، وسَلِمَ له دينُه إن شاء الله؛ لأنَّ رسول الله ﷺ قال: «ستفترق أمتي»، وبيَّن لنا رسول الله ﷺ الناجي منها فقال: « ما كنت أنا عليه اليوم وأصحابي»؛ فهذا هو الشفاء والبيان، والأمر

---

(١) «أصول السنة» (ص١٩ ــ ضمن «عقائد أئمة السلف» تحقيق فواز زمرلي).

مِن بركات اتباع السَّلَف الصالح والانتساب إليهم

١- قال ﷺ: « إذا أسلم العبد **فَحَسُن إسلامه**، كتب الله له كل حسنة كان أزْلَفَها، ومُحيَت عنه كلُّ سيئة كان أزْلفها، ثم كان بعد ذلك القصاص: الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والسيئة بمثلها إلا أنْ يتجاوز الله عز وجل عنها»[1].

قلتُ: ولا يَحْسُن إسلام المرء إلا بتحقيق التوحيد الكامل في اتجاهاته الثلاثة:

الأول: توحيد الله سبحانه وتعالى -بأنواعه

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي في «السنن» (٥٠١٣)، وعلَّقه البخاري بصيغة الجزم في «صحيحه» (٤١)، وانظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ٢٤٧).

حسنُ سمت، ولا فقه في الدين»[1].

قلتُ: و(السَّمْت) -كما قال الحافظ ابن حجر- هو: «حُسْن المنظر في أمر الدين، ويُطلق أيضاً على القصد في الأمر، وعلى الطريق والجهة».

ثم قال: «وكلاهما جيد بأن يكون له هيئة أهل الخير على طريقة أهل الإسلام»[2].

أقولُ: وأحسن السَّمت وخيرُه هو سمت نبيِّنا عليه الصلاة والسلام وسمت أصحابه، وأفقه الأمة نبيها ﷺ ثم صحابته الكرام، ولن تنال -أخي القارئ- هاتين الخصلتين بمنأى عن الدعوة السلفية فضلاً أن تُناوءهم وتحاربهم، والله المستعان!

فالله! الله! بالعَوْد الحميد إلى السَّمت السَّلَفي، والهدي النبوي ــ خاصة أنكم في زمان ــ كما وَصَفَهُ

(١) صحيح: رواه الترمذي (٢٦٨٤) وغيره، انظر «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (رقم ٢٧٨).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٦٢٥).

«فإذا كان العلم صحيحاً مطابقاً لمعلومه الذي أَنْزل الله كتابَه به، والاعتقاد مطابقاً لما أخبر به عن نفسه، وأخبرت به عنه رُسله، والإخلاص قائم في القلب، والأعمال موافقة للأمر والهدى؛ والدّلُّ والسَّمْتُ مشابهٌ لهذه الأصول مناسب لها؛ عُلِم أنّ شجرة الإيمان في القلب أصلها ثابت وفرعها في السماء، وإذا كان الأمر بالعكس عُلِم أنّ القائم بالقلب إنما هو الشجرة الخبيثة التي اجتُثت من فوق الأرض، ما لها من قرار»[1].

*** لطيفة عزيزة:**

إنَّ «فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، وهو الخوض، أو يقع في العمل بخلاف الحق والصواب، وهو الاستمتاع بالخلاق.

فالأول: البدع، **والثاني**: اتباع الهوى؛ وهذان هما أصل كل شر وفتنة وبلاء، وبهما كُذِّبت الرسل وعُصي الرب، ودُخلت النار، وحلّت العقوبات.

---

(١) «إعلام الموقعين» (١/ ٢٢٧، ٢٢٨).

قال مقيِّدُهُ ــ حماه الله وثبَّت جنانه ــ: وكذا بحُسن السَّمت تُترك الشهوات وتُدرأ، وبالفقه في الدين تُدفع الشبهات وتُقمع، ولله الأمر مِن قبل ومِن بعد.

فيا إخوتاه... اللهَ! اللهَ! بمنهج السلف، **﴿ولا تكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. يوم تبيض وجوه وتَسْود وجوه، فأما الذين اسودَّت وجوهُهُم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنت تكفرون، وأما الذين ابيضت وجوهُهُم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾** [آل عمران: ١٠٥ــ ١٠٧]؛ جعلنا الله وإياكم منهم، آمين!

❐ ❐ ❐

[حقيقياً]، بل وإلى توحيدها»[1].

وأما المقلِّد؛ فإذا عرض له أمر سأل أحد العلماء المعتبرين ممَّن يوثق في دينهم وعلمهم عن حكم الله تعالى فيه لا عن حكم المذهب الفلاني -متقياً الله في اختيار مفتيه[2]، فإذا ما بلغه من العالم ما يخالف رأياً كان يقلِّده لأي إنسان كان، يدع هذا القول ويأخذ بما بلغه من الكتاب والسنة، لأنه لا كلام لأحد مع كلام الله ورسوله.

* * *

(١) «حقيقة التعيين لمذهب الأئمة الأربعة المجتهدين» لمحمد عيد عباسي (ص٨٨) بتصرف يسير.

(٢) فإن كان هناك علماء معتبرون «فَتَرَكَهُم هذا المُقلِّد وقلَّد غيرهم؛ فهو آثم إذ لم يَرجع إلى من أمِرَ بالرجوع إليه، بل تركه ورضي لنفسه بأخس الصفقتين، فهو غير معذور، إذ قلَّد دينه مَن ليس بعارف بالدين في حكم الظاهر، فعَمِل بالبدعة وهو يظنُّ أنّه على الصراط المستقيم...

وقلّما تجد مَن هذه صفته؛ إلا وهو يوالي فيما ارتكب ويعادي بمجرَّد التقليد» اهـ. كلام الشاطبي في «الاعتصام» (١/ ٢٠٩، ٢١٠).

وأقولُ بأعلى صوت على رؤوس الأشهاد: إن من ادعى أن هذا مروي عن الإمام أبي حنيفة رحمه الله ـ مثلاً ـ، أو الإمام مالك رحمه الله ، أو الإمام الشافعي رحمه الله فَلْيُصِّحَ السندَ بكل ما يشترط في صحته!

ولا أحسبُهم عن هذا إلا عاجزين، ﴿**ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً**﴾ [الإسراء: ٨٨]»[1] اهـ.

* * *

المسألة الثالثة: هو أننا معشر أهل السُّنة السَّلَفيين «ندعوا إلى عَرْض المذاهب على السُّنن، فما كان من حُكمٍ له دليل قبلناه، وما لم يكن له دليل طرحناه، ممتثلين قول إمام المذهب: «**إذا صح الحديث فهو مذهبي**».

[وأحسنَ من قال]:

«وقول أعلام الهُدى لا يُعمل بقولنا بدون نصٍّ يُقبلُ

(١) «تاريخ أهل الحديث» (ص٦٥، ٦٦).

من الحديث فاضربوا الجدارا

بقولي المخالفَ الأخبارا

وأحمدُ قال لهم: لا تكتبوا

ما قُلتُهُ، بل أصل ذلك فاطلُبوا

فاسمع مقالات الهُداة الأربعه

واعمل بها فإنَّ فيها منفعه

لِقَمْعها لكلِّ ذي تعصُّبِ

والمنصفون يكتَفُونَ بالنَّبي

نقول هذا الكلام ونحن -ولله الحمد- **من أشد الناس توقيراً للمذاهب المتبوعة، وأعرف الناس بقدْر أهلها**، بيد أننا ننعى على الذين أتوا بعد أولئك الأئمةُ الهداة بأزمنة متطاولة، [يقولون] قول الإمام، وإن خالف السنة، ولا يجرؤ واحد منهم ـ إلا مَن عصم الله ـ أن يخالف إمامه مع معرفته بغلطه في المسألة. . .

كتب منهجيَّة يُنصح بقراءتها

١- «منزلة السنة في الإسلام» للعلامة محمد ناصر الدين الألباني.

٢- «لا دفاعاً عن السَّلَفية، لا بل دفاعاً عنها» للشيخ محمد إبراهيم شقرة.

٣- «منهاج الفرقة الناجية والطائفة المنصورة» للشيخ محمد جميل زينو.

٤- «الوجيز في منهج السلف الصالح» للشيخ عبد القادر الأرناؤوط.

٥- «تعظيم السنة وموقف السلف ممن عارضها أو استهزأ بشيء منها» للشيخ عبد القيوم السحيباني.

الخاتمة
نسأل الله حُسنها وزيادة

وبهذه «**المَرقاة**» المباركة يتبيّن لك -أخي القارئ-:

«أن اتباع سبيل المؤمنين منجاة، فثبت أنَّ فهم الصحابة للدين حجة على غيرهم فمن حاد عنه فقد ابتغى عوجاً وسلك مكاناً حرجاً فحسبه جهنم وساءت مستقراً، ومقاماً، ومصيراً، هذا هو الحق فاعتصم به ولا تكن من الغافلين»[1]؛ «وهذا [هو] الصراط المستقيم الذي وصانا الله تعالى مستقيماً فاسلكه، ولا يضرك أنْ تفرَّق الرفقاء يميناً وشمالاً، وما داموا فيه فَهُم رفقاء، وحين تتفرَّق بهم الطُّرق فلا عليك منهم ما دمت في وسطه، فإنْ انحزت إلى فرقة ممَّن سلك بُنيات الطريق فقد أعذرت، وإن زعمت أن أحد هذه الفرق

(١) «درء الارتياب» (ص٣٨).

سلطان الولاء والبراء عليها.

فكُن طالب علم على الجادَّة، تقفو الأثر، وتَتَّبِعُ السُّنَنَ، وتدعو إلى الله على بصيرة، عارفاً لأهل الفضل فضلَهم وسابقتهم.

وإنَّ الحزبية ذات المسارات والقوالب المستحدَثَة التي لم يعْهدها السلف من أعظم العوائق عن العلم، والتفريق عن الجماعة، فكم أوهنت حبلَ الاتحاد الإسلامي، وغشيت المسلمين بسببها الغواشي.

فاحذر رحمك الله أحزاباً وطوائف طافَ طائفُها، ونجم بالشرِّ ناجمُها، فما هي إلا كالميازيب؛ تجمع الماء كدراً، وتفرِّقه هدراً؛ إلا مَن رحمه ربُّك، فصار على مثل ماكان عليه النبيُّ ﷺ وأصحابُه رضي الله عنهم»[1] اهـ.

جعلنا الله وإياكم ممَّن سار على نَهجهم، وسلَك دربْهم، وأن يُوفِّقنا لكلِّ ما يحبُّه ويرضاه.

(١) «حلية طالب العلم» للشيخ بكر أبو زيد (ص٨٤، ٨٥).

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
* كلمة	٥
* التقديم	٧
* المقدمة	١٣
* أهل السنة والجماعة	١٧
- السُّنة	١٧
- الجماعة	١٨
- أهل السّنة	١٩
- أهل السنة والجماعة	٢٠

الموضوع	الصفحة

- الإمام عمر بن عبد العزيز..... ٥٤
- الإمام أبو حنيفة..... ٥٤
- الإمام مالك ٥٥
- الإمام الشافعي..... ٥٥
- الإمام أحمد بن حنبل..... ٥٥
- الإمام البربهاري..... ٥٥
- الإمام الشاطبي..... ٥٧

* من بركات اتباع السَّلَف الصالح والانتساب إليهم..... ٥٨
- لطيفة عزيزة ٦٢
* الفقه بين «السَّلفية» و «المذهبية» ٦٥
- المسألة الأولى ٦٥